Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد تعاملت هذه الفئة من النقاد مع هذه الظاهرة تعاملاً فنياً يكشف عن حس نقدي متطور، وقد استطاع هذا الفريق أن يكشف عن السند المرجعي لتلك الأشعار التي فسّرها وأبان عن غريبها، انطلاقاً من أنّ عملية استيعاب النص لا تتم إلا بالكشف عن هذا النص وتخريج معانيه، وتحديد نصوصه المرجعية. ويكون مسعى النقاد هو التعامل مع النص كشبكة فنية متداخلة، كدائرة متعددة الحلقات، ومن هنا تصبح للنص خصوصية، تتمثل في تشكيل من النصوص الكثيرة، وهذا ما يفتح أمام الناقد آفاقاً واسعة في ممارسته، ويشترط فيه ثقافة واسعة، واطلاع على النصوص المرجعية للنص المدروس، وتجليات هذا النص في نصوص أخرى.

لقد استطاع الكثير من الشراح التقرب من النص الشعري وفق هذا المنظور، على الرغم من أنّ هذه الطبقة من الدارسين خصوصاً، والنقاد القدماء عموماً، كانوا يعالجون النص وفق نظرة جزئية لم تتعدّ وحدة البيت الشعري.

يدخل تحت إطار هذا المفهوم إشارتهم إلى تلك المماثلات والمشابهات بين أقوال الشعراء، والتي تمت بطريقة عفواً لا واعية منهم. وقد تكفل الناقد في هذا القسم باستحضار النص الغائب، أو السند المرجعي للنص الحاضر. فالأصمعي يقف عند قول العجاج(7):

حتّى إذا ما مرْجَلُ القومِ أفرْ بالغلي أحموه وأخبوه الـتيَرْ

ليقول: "... وقوله أحموه أي هيجوه ساعة وأخبوه ساعة، يريد أنهم يسكنون ثم يهيجون..وإنما هذا مثل قولهم:

وكنا كالحريق أصاب غابا فيخبو ساعة ويهيج ساعة

ويبدو أن الأصمعي لم يستحضر هذا البيت لغرض الشرح فقط، بل للإشارة إلى مكاشفة النص بنص آخر، ليسهل الإبانة عن النص المرجعي للشاعر، ولم يحكم على العجاج بالسرقة، ذلك أن المعنى عام ومشترك بين الشعراء.

ولم يخرج الطواسي عن هذا حين عالج قول لبيد:

فلا أنا يأتيني طريفٌ بفرحة ولا أنا مما أحدث الدهر جازع

فقال فيه: "يقول: لا أفرح بما أستطرف من مال أو شيء يسر ولا أجزع إن نكبني الدهر وهذا مثل قول طرفة:

إنْ نـنلْ منفسة لا تلقانا فـرح الخبر ولا نكبوا لضر(8).